من آيـات العبـادات

-دراسة بلاغية -

.....

م. د. بلال عبود مهدي

المقدمة

بسم الله .. الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه .. وبعد

فإن القرآن الكريم كتابُ الله تعالى المعجز الذي بهر العرب عند نزوله وهم فرسان ميدان الكلام فحاروا في بلاغته وفي نظمه العجيب ، فوصفوه مرة بالسحر ومرة بالشعر ، وحاولوا النظم على منواله فعجزوا عن مجاراته وقال قائلهم :

((والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمعرق ، ومايقول هذا بشر))[1].

وبعد أن مكن الله تعالى للإسلام أن يشيع في ربوع الجزيرة وينتقل شرقاً وغرباً تظافرت جهود العلماء لدراسته والبرهنة على إعجازه وتفهيم آياته ، ومعرفة أساليبه ليستنبطوا منه الأحكام التي بها يعرف إعجازه ، لذلك اتجهوا الى البلاغة باحثين عن فنونها وموضحين أقسامها لتكون لهم عوناً على فهم إعجازه وسر بلاغته ومواطن الإعجاز فيه ، فمن قائل بالصرفة ، وبعضهم عزا إعجازه إلى لفظه ، ثم حاول بعضهم التماس الإعجاز في معناه ، وحاول بعضهم الجمع فقال إن إعجازه في لفظه ومعناه على السواء .

هذه آيات يسيرات من آيات أحكام العبادات حاولت جهدي وأعملت فكري في توضيح استعانة الفقهاء والمجتهدين بالدرس البلاغي والبياني حال استنباطهم الأحكام من النص التنزيلي العزيز ، وقد وجدت أن الفقهاء والمجتهدين استعانوا فعلاً بالجهد البلاغي والبياني وكان يرجعون إلى الوجوه البلاغية والبيانية للتدليل على حكم شرعي استنبطوه وأعملوا فكرهم في تكييفه .

اسأل الله تعالى أن يكون عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم .. والحمد لله رب العالمين .

الباحث

١ــ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ ﴾ البقرة: ١٨٣

جاءت هذه الآية إيناساً للمؤمنين الذين فرض عليهم الصيام لأول مرة، ذلك أنّ النفس البشرية يشق عليها التكليف فإذا ماعلموا أن الفرض قديم وقد شاركهم فيه أممٌ سابقةٌ هان عليهم لأنّ المشقة إذا عمّت هانت على النّاس.

ف (كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ)

آثرالبيان القرآني فيها استعمال مفردة (كُتِبَ) على مفردات أخرى تناظرها مثل (فرض) ذلك أنّ (كُتِبَ) فيها معاني الفرض مع التقدير والحكم [٢]، أي أنّ مادة (كتب) يشيع فيها معاني الفرض والإلزام مع ارتباط ذلك بمعنى التقدير والحكم أي إنّ ما كتب هو مقدّر من الله وبقدره مع الحكم بفرضيّته وإلزامه مثل قوله تعالى (كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ) المجادلة / ٢١ لذلك قال علماء البيان إنّ معنى : ((كتب عليكم: أنّه حقٌّ لازمٌ للأمّة لامحيد عن الأخذ به)) [٣]

ومن المعاني المنسبكة في جذر (كَتَبَ) أنّها بمعنى الجمع والضم، قالت العرب : (تَكَتَّبَتْ الكَتِيبَة أو الخَيْل أي تَجَمّعَتْ) ، ومن معاني (كَتَبَ) اللغوية أنّها بمعنى الشدّ والسبك يقال : (اكتبْ قُرْبَتَكَ: أخرزها، وأكتُبْها :أوكها يعني شدّ رأسَها) [٤]، وذلك يومئ بلمحةٍ بيانيةٍ أنّ فرض الصيام كتب على الجميع لا استثناء لأحدٍ من المسلمين في عدم صيامه إلا ماستثنته الشريعة، وفيها معنىً بيانيٌ آخر هو أنّ الصيام فيه جماع الخير والبركة والرحمة فهو يقمع الشهوات الإنسانية ويعلي من شأن الفضائل ويحرر الإنسان من ربقة قيود العادة.[٥]

وفي تركيب (كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا ف ف ف قَبۡلِكُمۡ) تشبيه مرسل مجمل[٦]، إذ شبّه فرض الصيام على الأمّة الإسلاميّة بفرض الصيام على الأمم السابقة بجامع الإلزام في كلٍ

فمما أوحته دلالة (كَتَبَ)من دلالات أنّ فرض الصيام يشدّ من أزر النّاس تجاه المصائب، وأنّه يذكر الصائمين بالفقراء، والمعوزين حتى يبادروا إلى شدّ أزرهم، ونصرهم، وإعانتهم، ثمّ فيه ملمحٌ آخر أنّ فرض الصيام بمفردة (كُتِبَ) يوحي إلى أنّ الله تبارك وتعالى يأمر المسلمين أنْ يصلحوا صيامهم ويزكوا عملهم ويحفظوا

جوارحهم فيشدّوا من عزمهم في عدم التدني من المنكرات والابتعاد جهد المكنة عن المعاصي وهذا ما وضحه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله الكريم : (الصيامُ جنّةٌ إذا كان أحدُكم صائماً فلا يَرفُثْ ولا يَجهَلْ فإنْ امرؤٌ قاتَلَهُ أو شاتَمَهُ فليقلْ إنّي صائمٌ إنّي صائمٌ) [٧]

ثمّ تتوالى معاني (كَتَبَ) ليصدق عليها معنى الهبة، والعطية من دون مقابل، وبلا ثمن، فهو كقوله تعالى (يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ)المائدة/ ٢١، أي وهبها لكم [٨]

إنّ هذه الدلالات لمادة (كَتَبَ) تعلن بلا مواربةٍ أنّ الصيام هبةٌ من الله تعالى للمؤمنين ومكافأة لهم حتى يجازيهم الله تعالى خير الجزاء على صيامهم ويدخلهم الجنة لذلك ورد في الآثار أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إنّ في الجنةِ باباً يُقال له الريانُ يُدعى يوم القيامة يُقال: أينَ الصائمون ؟ فمَنْ كان من الصائمين دَخَلَهُ، ومَنْ دَخَلَهُ لايَظْمَأُ أبداً) [٩]

ومن أشهر معاني (كَتَبَ) أنّها بمعنى التعليم والإملاء، وهي بهذا المعنى تجمع كلّ خصيصة بيانيةٍ مذكورة آنفاً، فالصيامُ يعلم الصبرَ، ويورث الفضيلة، ويباعد عن الرذيلة، وهو يجمع الناس على التواصي، والتآزر، والتناصر، وبذل المعروف.[١٠]

و(ٱلصِّيَامُ) مصدرُ الفعل: صامَ، يَصومُ، وهي بمعنى الإمساك عن كل شيءٍ، يقال (صام الرجل عن الكلام) أي أمسك عنه، ومنه قول مريم عليها السّلام (إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا)مريم / ٢٦، أي إمساكاً عن الكلام.[١١]

ومجيء مفردة (ٱلصِّيَامُ) مصدراً يقرر حقيقة أنّ الصّيام فرضٌ دائمٌ مستمرٌ سرمديٌ على أمة الإسلام، وهذا التقرير لهذه الحقيقة أشاعه المعنى الدلالي والبياني للمصدر فهو يدل في أصل وضعه على الثبوت والدوام فجاءت مفردة (ٱلصِّيَامُ) في معناها الدلالي متواشجة ومنسجمة مع الحكم الشرعي للصّوم وهو اللزوم والدوام والبقاء حتى تصيح الساعة.

ثمّ إنّ (ٱلصِّيَامُ) مرفوعةً بالضمة وممّا هو معلوم للبيانيين أنّ الضمة هي أثقل الحركات الإعرابية وأوّلها وجوداً وهذا يشي بأنّ الصّيام شاقٌ على نفوس النّاس لكنّ أجره عظيمٌ عند الله تعالى لايعلم جزاءه إلاهو.

وهناك ملحظٌ بيانيٌ عظيمٌ هو أنّ فرض الصّيام قد تعدّى إلى معمول الفعل (كُتِبَ) بالحرف (عَلَى) الذي يفيد الاستعلاء، كقولهم: (الطير على الشجرة) بمعنى أنّه استعلى عليها، فهذا التصور البياني لمعنى (ف) يخرج إلى معنى بيانٍ آخر، هو أنّ فرض الصّيام فرض وكتب من عالٍ إلى دانٍ، فالله تعالى الخالق المتعالي هو الذي فرضه، وأوجبه على خلقه، فيكون بهذا التصور البياني أنّه أكثر إلزاماً، وأوجب أداءً لأنّه صادرٌ من الله تعالى بصيغة (على) إلى المسلمين المكلفين، فالمعنى على ذلك أنّ الصّيام فرض عليكم من الله تعالى فالتزموا به، وقوموا به خير قيام. [١٢]

وألف (ٱلصِّيَامُ) اللينة، وقبلها الياء المدية هما من الحروف التي تخرج بلا كلفة ولا صعوبةٍ ولا حد لانتهاء نطقها وتوقفه [١٣] إنّما جاءتا لتعلنا أنّ الصّوم مهما بلغت صعوبته وتعالت مشاقه فهو هينٌ يسير لينٌ وجزاؤه يوم القيامة لا منتهى لحدوده ولا قدر لفضله لذلك قال عليه الصلاة والسلام في الحديث القدسي : (كُلّ عملِ ابنِ آدمَ يُضاعَف الحسنةُ بعشرِ أمثالها إلى سبعمائةِ ضِعف إلى ما شاء الله، يقول اللهُ: إلا الصّومَ فإنّه لي وأنا أجزي به) [١٤]

إذ تواشجت المعاني والدلالات وارتبطت ذهنياً بالحكم الشرعي وأشرقت عليه إشراقاتٍ رائعة إعجازيةً مؤداها أنّ هذا الكتاب العزيز هو من الخالق جلّ وعلا لا من صنع البشر

(كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ)

أمّا التشبيه في (كَمَا ف ثف ثمقَبۡلِكُمۡ) فهو تشبيه مرسل مجمل، إذ جاء التشبيه على هذه الصورة البلاغية الرائعة لحكمٍ كثيرةٍ ترجع كلها إلى مواساة المسلمين بهذا التكليف، وتخفيف الوطأة عليهم، فهذا الإلزام الإلهي للمسلمين لم يكن خاصاً بالمسلمين، بل هو فرضٌ قديمٌ مفروضٌ على الأمم السابقة للمسلمين، وفي ذلك تيسير لهم وإبعاد شبح الخوف من الكلفة عن نفوسهم، ثم إنّ التشبيه أفاد خصيصة بيانية رائعة مفادها أنّ النص بالفرضية أعيد بالعبارة نفسها (كُتِبَ) وهذا يشعر بأنّ التكليف السابق للأمم كان على المنوال نفسه الذي فرض على المسلمين وهذا يشعر بأهمية ونفاسة هذه العبادة فهي معتنى بها لأنّها شرعت قبل الإسلام لمن كانوا قبل المسلمين، ثم شرعت للمسلمين، وذلك يقتضي اطّراد صلاحها ووفرة ثوابها.[١٥]

لذلك أشرقت مفرداتُ الآية على الحكم الشرعي بإشراقاتٍ عديدةٍ رائعة، إذ جاء استعمالُ مفردة (كُتِبَ) من دون غيرها لتشع على الحكم الشرعي للصيام بالإلزام الإلهي مع تقدير الله تعالى لذلك الحكم في الأزل وأنّه جاء

بحكمة وعناية إلهية، ثم جاءت مفردة (ٱلصِّيَامُ) مصدراً مرفوعاً ليدل على ثبوت حكم الصّيام وديمومته وأنّه باقٍ ما بقي الليل والنهار، ثمّ جيء بالتشبيه بالأداة (الكاف)وهي أمّ أدوات التشبيه لتقرر حقيقة أنّ فرضية الصيام لم تكن حادثة على المسلمين بل هي فرضٌ قديمٌ من فروض الله على العباد فأفادت تلك العناية الإلهية بهذه الفرضية إذ هي من الأهمية بمكان في شريعة الإسلام.

فهذه سلاسل أفكارٍ بلاغيةٍ بيانيةٍ جاءت متجلية لتؤكدَ حقيقة التوأمة بين علوم العربية والأحكام الشرعية، ولتقول للنّاس إنّ هذه العلومَ مترابطة، وإنّ القرآن الكريم لاتنقضي عجائبه، ولا يَخلَقُ على كثرة التردد والترداد.

٢-قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡۚ فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ﴾ البقرة: ١٩٨

(لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡ)

آثر البيان القرآني استعمال مفردة (جُنَاحٌ) من دون مفردة (إثْمٌ) لدلالةٍ بيانيةٍ لغويةٍ توجد فيها، فالجناح أعمّ من الإثم لأنّه في الصنيع الذي يقتضي عقاباً، ويقتضي زجراً، أما (الإثم) فإنّه ذنبٌ قد لا يقتضي عقاباً مثل الذنوب التي لا حدّ شرعياً على اقترافها، بل يعزر فاعلها كالتحرش، والنظر إلى الأجنبية، فهذه ذنوب يأثم فاعلها لكنها لا تقتضي عقاباً مقدّراً من الشرع بل يعزر فاعلها بما يراه القاضي، فالقرآن الكريم جاء بمفردة (جُنَاحٌ) ليزيل ماكان يتوهمه العرب من أنّ التجارة في مواسم الحج تورث إثماً وعقاباً.[١٦]

ثم جاءالتركيب (فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡ) على سبيل الكناية [١٧]، والمقصود بها التجارة في الحجّ فلا حرج ولا جناح على الحاجّ أن يتجر في حجّه، وهذا قول جمهرة المفسرين [١٨]، لكنّ نلحظ أنّ مفردة (فَضۡلٗا) جاءت نكرة، والنكرة عند علماء البيان تفيد العموم والشيوع ، فالفضل في الآية عامٌ في كلّ صنيعٍ يراد به الخير والتقوى في الحج ولا يقصر على التجارة [١٩]

(فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ)

وجاء اختيار المفردة (أَفَضْتُم) في قوله تعالى (فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ) في هذا الموضع لغرضٍ بلاغيٍ بيانيٍ مقصود، فالإفاضة مخصوصةٌ بجريان الشيء بسهولة وسرعة مع كثرة ذلك الشيء المندفع[٢٠]، قالت العرب: (أفاضَ إناءَه: إذا مَلأهُ حتى فاضُ..... ومنه: أفاضَ القومُ من عرفه: إذا دَفَعوا وذلك كجَرَيان السَيْل)[٢١]

فاستعمال (أَفَضْتُم) مقصوداً وفيه إفاضة على الحكم الشرعي بوجوب الدفع من عرفات، فالحجيج كثْرٌ وهم يندفعون من عرفاتٍ إلى المشعر الحرام من كل حَدَبٍ وصَوْبٍ: من الوديان، والوهاد، والجبال، والفيافي الواقعة داخل حدود عرفات، فلما كان اندفاعهم هائلاً، ومسيرهم متزاحماً استعمل له مفردة (أَفَضْتُم) لتعكس حجم وهول الاندفاع الكبير المائج، وهو مامكن الإستعارة المكنية في (أَفَضْتُم) من تصوير هذا المشهد المهول لحظة الإندفاع من عرفات

إذ شبّهت اندفاعهم، وامتلاء الأرض، والوهاد بهم حال حركتهم بسيلان الماء، وامتلاء الإناء به بحيث فاض عن قدره، واتسع عن حدوده.[٢٢]

ثم تأتي مفردة (عَرَفَٰتٍ) في قوله تعالى (مِّنْ عَرَفَٰتٍ) ليثير معناها لمسات بيانية أخرى للنص العزيز، فعرفات: مأخوذة من العَرْف وهو الطيب، سميت بذلك لطيب موضعها، وفيوض الرحمات فيها، أو أنّها سميت بذلك لارتفاعها، فإنها مأخوذة من العُرْف بضم العين وهو الارتفاع، وقيل إنها سميت بذلك لأنّ النّاس يتعارفون بينهم في ذلك المكان الطاهر الزكي، أو سميت بذلك لأنّ النّاس يعترفون بذنوبهم، ويقررونها في هذا المكان، ويطلبون مغفرتها، والذي أميل إليه أنّ هذه المعاني كلها مرادةٌ وصالحةٌ فهي المكان الطيب الذي تتساقط عنده أدران وأوضار الحجيج، وتفتح لهم أبواب الرحمة، والمغفرة، والسكينة، وهي المكان المرتفع، والركن الأوكد في الحجّ فلا يصح الحجّ، ولا يتمّ إلا بالوقوف بعرفة لذلك ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنّه قال: (الحجّ عَرَفَةٌ) [٢٣]، ثم هي المكان الذي يزدحم فيه الناس فيتعارفون بينهم، ويتزاورون، ويجتمعون لأداء النّسك العظيم فيدعون الله تعالى جميعاً، ويطلبون منه الرحمة والمغفرة، وسائر حوائجهم في الدنيا والآخرة. [٢٤]

أما (ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ) في قوله تعالى (فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ) هو المكان المسمى بجمع سمّي بذلك لأنه يجمع فيه بين المغرب والعشاء في وقت العشاء، أو لأنّ آدم وحواء عليهما السلام اجتمعا فيه وقت إخراجهم من الجنة [٢٥]، وهذه العلل في التسمية جاءت متسقةً مع قوله تعالى (فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ) فإنّ الذكر يحتمل وجهين: إمّا أنّه يراد به الذكر المطلق المعروف، وإمّا يراد به صلاة الجمع بين المغرب والعشاء، فهو مجاز مرسل علاقته الجزئيّة [٢٦] (ذكر_ذكرالله _ وهو الجزء وأريد به الصلاة وهي الكل على سبيل المجاز المرسل الذي علاقته الجزئيّة).

فكان لهذه العلاقة المجازية دورٌ هامٌ في بيان أن السنّة هي الجمع بين صلاتي المغرب والعشاء بمزدلفة إذ إنّ الحاج عند اندفاعه من عرفات إلى مزدلفة يبقى مشغولاً بالاندفاع، والمسير الشاقّ ليصل إلى مزدلفة لذلك لا يستطيع أن يصلي المغرب إلا في مزدلفة جمعاً مع صلاة العشاء، فكان لمجيء المجاز المرسل بعلاقته الجزئية بيانياً، وتوضيحاً لذلك الاستحباب المكتنه في أثناء الأمر بالذكر (اذكروا)[٢٧]

(وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ)

في تركيب (وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ) تشبيه مرسل مجمل، إذ شبّه الباري عز وجل الذكر بالهدى بجامع أنّهما يوصلان إلى شيءٍ مفيدٍ مقصودٍ، فحذف وجه الشبه للاتساع في المعنى، قلنا: مرسلٌ: لذكر الأداة وهي الكاف، ومجملٌ: لحذف وجه الشبه ويراد بالتشبيه في هذه الآية المساواة بين المشبه والمشبه به، لا أن المشبه به أعلى شأناً وقدراً وهو ما تعورف عليه في التشبيه، فهو كقول أبي كبير الهذلي:(الطويل)

أَهُز به في نَدوةِ الحيّ عطفَه... كما هَزّ عِطفي بالهجان الأوارِكِ [٢٨]

فالكاف في (كما) تفيد المجازاة والمساواة بين المشبه والمشبه به، أي أجازيه وأساوي فعلي بفعله، فهو كما هزني في وسط الحي فأنا أفعل به الصنيع نفسه وأجازيه بذلك، فيكون معنى الآية :اذكروه ذكراً مساوياً لهدايته إياكم، فالتشبيه هنا أفاد معنى المجازاة والمكافأة [٢٩]، إذ أشبع التشبيه المعنى المراد، ووضحه غاية الوضوح، فهداية الله للناس هي من أفضل النعم على العباد لا تعادلها نعمة، ولا توازيها فضيلة، فمهما شكر العبد وحمد الله تعالى على هذه النعم لن يوفي الله حقه لكنْ في هذا الموطن، وفي هذه الساعات الغاليات لا تنسوا ذكر الله بل اذكروه، واحمدوه، وكبروه تكبيراً وتحميداً وتسبيحاً موازياً ومساوياً لفضل الهداية وعظمها.

وقد انحرف التشبيه في هذا الموطن عن مساره المتعارف عند البلاغيين، وهو أنّ المشبه به أوضح في وجه الشبه من المشبه، فالأصل في التشبيه أن يكون وجه الشبه فيه بارزاً واضحاً ومركوزاً في المشبه به، وهذه الصفة مخفية ومستترة في المشبه، فيجاء بإسلوب التشبيه لإبراز هذه الصفة المستورة في المشبه فيظهرها ويبرزها التشبيه [٣٠]، ثم إن أراد الشاعر أو الناثر أن يبالغ في التشبيه ويغرق في الإدعاء فيعمد إلى قلب التشبيه، فيجعل المشبه مشبهاً به، والمشبه به مشبهاً نزوعاً إلى الإبتكار ومبالغة في الصنعة كقول البحتري في مدح الخليفة المعتصم :(البسيط)

كَأنَّها حينَ لَجَتْ في تَدَفُّقِها..... يدُ الخليفة لمَّا سالَ واديهَا [٣١]

فالأصل أن يشبه الشاعر جود الخليفة وكرمه وسعة عطائه باندفاع الماء وتدفقه، أو بالبحر الرائق المترامي، لكن الشاعر عمد إلى الإغراق في المبالغة فجعل المشبه به وهو ماء البركة المتدفق مشبهاً، وجعل كرم الخليفة وعطائه هو المشبه به، وذلك نزوعاً إلى المبالغة والإغراق في الإدعاء [٣٢]، فهذا هو الأصل عند البلاغيين المتقدمين والمتأخرين في تناول موضوع التشبيه، أما أن يجاء بالمشبه به مساوياً للمشبه في وجه الشبه فذلك من ابداعات القرآن الكريم ومن اعجازه البلاغي العالي، فلم أطلع على بيت شعر أو قول للعرب في الجاهلية ساوى فيه الشاعر أو الناثر بين المشبه والمشبه به في وجه الشبه، ولم أطلع عمّن ذكر هذه الخصيصة البلاغية البيانية الرائعة قبل المفسر ابن عاشور رحمه الله، بل كان المفسرون يذكرون التشبيه في هذا الموضع الكريم ولايذكرون هذه الخصيصة البلاغية التي انفرد بها القرآن الكريم.

لقد جاء القرآن الكريم بالتشبيه لعلةٍ بيانيةٍ عظيمةٍ هي المساواة بين المشبه والمشبه به، وذلك مما جادت به قرائح الشعراء بعد الكتاب العزيز، فكان للكتاب العزيز فضل السبق في استشراف هذا النوع من التشبيه، وإبراز معنى التساوي بين المشبه والمشبه به، وهو مالم يعهده أهل البلاغة وشعراء العرب.

ولهذا كان لاستعمال البيان القرآني لمفردة (جُنَاحٌ) انعكاسٌ مشرقٌ على الحكم الشرعي هو جواز الاتجار في الحج إذ إن مفردة (الجناح) توجب العقوبة، والإثم، والتعزير معاً، فنفي الجناح يرفع هذه الزواجر، ويزيل مايتعلق بها من أوضار، فكان ذلك أوكدُ في النفي، ورفع الحرج من مفردة (الإثم)، ثم إنّ استعمال مفردة (فَضْلًا) منكرة جاءت لتوسع من دلالة الفضل، وتعمم مساحة الأجر لتقع على كل ماتتناوله المفردة من معاني الخير والبركة وصنيع المعروف في الحجّ، فكان في ذلك توسعة، وشمولية أكثر لمورد الحكم الشرعي.

ثم يجيء استعمال مفردة (أَفَضْـتُم) بدل مفردة أخرى مثل (سرتم _ مشيتم) لأنّها أوسع دلالة، وأشمل معنى، وأبين للمقصود، إذ إنّها تعني الدفع بسرعة مع الكثرة الكاثرة، وذلك لا يتحقق في مفردة (سرتم _ مشيتم) لذلك كان استعمالها متوائماً مع فعل الحجيج عند الدفع من عرفة.

وكان المورد البياني العذب في استعمال مفردة (عَرَفَـٰتٍ) في هذا الموضع بدل مفردة أخرى، إذ إنها أشربت معان، ودلالات تتسق كلها، وتتواشج مع ذلك الموقف الرهيب هناك، فهو موطن الاعتراف بالخطيئة ، والتقصير في جنب الله، ثم هو الموطن الطيب والمكان العالي الذي عنده تتعالى أصوات الحجيج تلهج بطلب المغفرة والرحمة، وتتساقط عندهُ الذنوب والأوزار معلنة انتهاء أعظم أركان الحج بلا نزاع.

وكان للمجاز المرسل بعلاقته الجزئية في (فَٱذْكُرُواْ) دورٌ بيانيٌ بلاغيٌ عميقٌ في كشف المراد من الأمر في (فَٱذْكُرُواْ) إذ أبان عن أن المراد منه هو الصلاة بمزدلفة جمعاً بين صلاتي المغرب والعشاء.والله أعلم

٣_قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَـٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ ﴾ البقرة: ٢٢٣

(نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ)

الحرث لغةً: هو إلقاء البذور وتهيئة الأرض للاستنبات [٣٣] في التركيب القرآني (نساؤكم حرث) الوجه البلاغي الموسوم بالتشبيه البليغ[٣٤]، إذ شبهت النساء بالأرض المهيئة للإنبات بجامع تهيئة شيء للإنبات فحذفت الأداة ووجه الشبه، وهذا النوع من التشبيه يقصد منه إذابة الفوارق بين المشبه والمشبه به بإضمار الأداة ووجه الشبه لأن الأداة كلما وجدت في تركيب التشبيه نصبت فارقاً بين المشبه والمشبه به وأحكمت قاعدة أن وجه الشبه في المشبه به أتم وأوضح منه في المشبه فإذا ماأريد لهذا الفارق أن يزال وأن يدخل المشبه في المشبه به فكأنه هو يجاء بالتشبيه البليغ.

فالحكم الشرعي في هذه الآية يوجب إتيان المرأة وغشيانها في موضع خروج الولد وممّا يدل على ذلك أنّ البيان القرآني استعمل مفردة (الحرث) ولم يستعمل مفردة (الزرع) ذلك أنّ بينهما فرقاً في المعنى وسعةً في الدلالة، ف (الحرث) مصدرٌ بمعنى اسم المفعول أي موضع الحرث أو المحروث،، فجاء المصدر بمعنى اسم المفعول

(المحروث) ليقيّد موضع الحرث ومكانه، فكما أنّ الحرث وهي أرضٌ معينةٌ ذات مساحةٍ معروفةٍ كذلك موضع الإيلاج مخصوصٌ معينٌ فلا تعطي دلالة (الحرث) معنى الاتساع والشمول والإطلاق، وكان لموضع التشبيه البليغ تأكيدٌ على أنّ الموضع الذي تجامع منه المرأة هو موضع إنبات الولد وجهة استيلاده فلا يحمل تشبيه المرأة بالمكان المحروث إلا على جهة تقييد موضع الجماع شبهاً بموضع حرث الأرض وإلقاء البذر فيها، ففي تركيب (نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٌ) تشبيه بليغ، إذ شبهتْ النّساء بالأرض الحرث التي تهيأ للزراعة بجامع إلقاء شيءٍ في جوف كلٍ وذلك الشيء يحصل منه إنباتٌ وتوالدٌ، أو أنْ نقول: شبّهت النطف التي تلقى في أرحامهنّ للاستيلاد بالبذور التي تلقى في المحارث للاستنبات.، فالبذر يلقى في موضعٍ معينٍ محددٍ حتى يستنبت النبات منه بعد تعاهده بالرعاية والعناية، فجاء التشبيه بذلك ليعطي الحكم الشرعي إشراقة بيانٍ ووضوح دلالةٍ مِن أنّ موضعَ الجماع من المرأة وموضع إلقاء النطف فيها هو موضع إنبات الولد وجهة استيلاده.[٣٥]

أما (الزرع) فلا يعطي هذه الدلالة مطلقاً بل دلالته تختلف فهي بمعنى مراعاة مايلقى من البذر وإنباته وتعاهده حتى يثمر ولهذا فرّق القرآن الكريم بين الصيغتين وراعى الجانبين فقال: (أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَحۡرُثُونَ ءَأَنتُمۡ تَزۡرَعُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلزَّٰرِعُونَ)الواقعة / ٦٣_٦٤ فأثبت لهم الحرث وهو إثارة الأرض وإلقاء البذر، أما (الزرع) هو إنبات الزرع، وتعاهده حتى يشتد، ويستوي على سوقه، ويثمر فهو من صنع الخالق جل وعلا، لذلك جاء الاستفهام في الآية بمعنى الإنكار[٣٦]، أي لستم أنتم الذين تزرعونه، بل نحن من يزرعه، ويتعاهده، وينبت السنبل والثمر فيه حتى يؤتى أكله [٣٧]، فظهر بذلك الفرق بين دلالة (الحرث) و(الزرع) مما يؤكد حقيقة الحكم الشرعي أنّ المرأة لاتوطأ إلا حيث تكون حرثاً، والحرث هو موضع الإنبات، وتوالد النسل [٣٨]

الأمر في (فَأۡتُواْ)عند قوله تعالى (فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡ) للإباحة، بمعنى أنّ غشيان النّساء ليس بواجب ولاهو ملزم للرجل إلا على سبيل الإستيلاد وإنتاج النسل وتكاثره فهو في أصله مباح.

والملاحظ أنّ البيان القرآني قد كرر مفردة (حَرۡثُكُمۡ) في هذه الآية ولم يقل : (فأتوه أنى شئتم) بالضمير، لدفع وهم من يتوهم أنّ الإتيان يصح في أي موضع من مواضع الجسد، بل كرر البيان القرآني ذلك لدفع هذا التوهم، وللتأكيد على أنّ المأتي هو الذي يخرج منه الولد وهو موضع إلقاء النطف فجاء الوجه البلاغي المسمى بالتكرار

لإعطاء الحكم الشرعي وضوحاً أكثر وإمداده بالإشراق والبيان بصورة أبلغ فإنّ من أغراض التكرار المعروفة هو التوكيد والمبالغة.

(أَنَّىٰ شِئْتُمْ)

وردت (أَنَّىٰ) بعدة تفسيرات، فمنهم من فسّرَها بمعنى: (من أين) [٣٩]،فلربما يكون المقصود من تفسيرهم هذا هو مكان الإتيان أي جهته لامكان الولوج، ومنهم من فسرها بمعنى (متى)[٤٠]، ومنهم من فسرها بمعنى (الكيفية)، وكلٌ من هذه التفسيرات له معنى بياني يخصه، الذي تدل عليه الآية ويتسق وينسجم مع الأحاديث النبوية الشريفة الواردة في هذا الباب أن المفردة القرآنية (أَنَّىٰ) بمعنى (كيف) وهو قول سيبويه (١٨٠ للهجرة) والفرّاء (٢٠٧ للهجرة) وابن النحاس [٤١]، وهو الذي يميل إليه الباحث فيكون المعنى أنّه يجوز أنْ تؤتى الزوجة على أيّة حالٍ هي مستلقية ومدبرة وقاعدة بشرط أنْ يكون الجماع في موضع الحرث وهو موضع خروج الولد، أمّا بقية معاني (أَنَّىٰ) فلا نسلّم أنّها مرادةٌ في هذا الموطن لأنّ معنى الآية يدفعه وتدفعه الأحاديث النبوية الشريفة الواردة في النهي عن الإتيان في غير موضع الحرث وبذلك يستقيم المعنى مع الأدلة الواردة ويجمع بين ذلك في أحسن جمع وأتمه [٤٢]

والملاحظ أنّه تعالى بعد أنْ ذكر تشبيه النساء بالحرث وما يتعلق بذلك من أحكامٍ أعقبه بذكر ثلاثة أوامر فيها معنى التهديد والوعيد، حيث قال تعالى (وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ)، أي ابتغوا في قضاء الوطر طاعة الله تعالى، وليس قضاء الشهوة فقط، ثم أكّد تعالى ذلك بقوله (وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ)، أي في ذلك وخافوه، ثم ختمه تعالى بقوله (وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ).

قال الفخر الّرازي ما نصه: ((وهذه التهديدات الثلاثة المتوالية لا يليق بذكرها إلا إذا كانت مسبوقة بالنهي عن شيءٍ لذيذٍ مشتهى فثبت أنّ ماقبل هذه الآية دالٌ على تحريم هذا العمل، ، و ما بعدها أيضاً دالٌ على تحريمه فظهر أنّ المذهب الصحيح في تفسير الآية ما ذهب إليه جمهور المجتهدين))[٤٣]

وعليه فقد كان للملاحظ البلاغية والبيانية في هذه الآية اشراقاتٌ وجلاءٌ للحكم الشرعي إذ استعمل البيان القرآني مفردة (الحرث) ولم يستعمل غيرها من المفردات ليقيّد موضع الجماع من المرأة وهو مكان الإستيلاد منها

ذلك أنّ معنى الحرث هو إلقاء البذر في موضع معين مسبقاً ومهيأ للإنبات، فجاء التشبيه البليغ ليقيد موضع الجماع بمكانٍ معدٍ لهذا الغرض وهو موضع خروج النسل وتوالده، ثم جاء تكرار مفردة (حَرْثَكُمْ) من دون مجيء ضميره لإعطاء الحكم الشرعي بغشيان المرأة في موضع الإنجاب جاء تكرار المفردة نفسها، ولم يأت بضميرها (فأتوه) ليذكّر الناس بالموضع وليقيده وليعطي الحكم الشرعي بموضع الغشيان وضوحاً أكثر وبياناً أوضح حتى لا يقع اللبس في عود الضمير إلى معدودين وفي ذلك تسليم للحكم الشرعي ورد على من أدّعى تعدّد مواضع الغشيان وهو ما يتوافق مع الأحاديث النبوية الشريفة الناهية عن غشيان المرأة في غير موضع الحرث.

وفسرت مفردة (أَنَّىٰ) تفسيراتٍ شتى، وكلّ تفسيرٍ يدل على معنى وأرجح التفسيرات وأقواها هو ما فسره شيخ النحاة سيبويه وإمام الكوفة الفراء من أنّ (أنّى) جاءت هنا بمعنى (كيف) وهذا التفسير يتواءم مع ماذهب إليه المفسرون، وما دلّت عليه الأحاديث النبوية الشريفة التي نهت عن غشيان المرأة في غير موضع الحرث. فهذه الآية تجري مجرى البيان والتوضيح لقوله تعالى في الآية السابقة (فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ) البقرة / ٢٢٢ وفيها إيناسٌ للأزواج بأنّ مدّة المنع من غشيان النّساء وقت الحيض إنّما كان لمانعٍ مؤقتٍ وهو الحيض وفيه من الفائدة الصحية والنفسية مالا يخفى على الأزواج

هذه الإشراقات البيانية للمفردات لاشك أنّها أعطتْ بياناً ووضوحاً أكثر للحكم الشرعي وأمدّته بالدلالات البلاغية الرائعة العظيمة التي انسجمت مع معطيات الحكم الشرعي فكان هذا التوائم وهذا التجاذب بين البلاغة والفقه مما يوحي أنّ هذين العلمين مترابطان متلازمان تلازم الروح والجسد، لذلك رأى علماء الأصول أنّه يلزم للمفسر وللمجتهد أنّ يكون ملماً بعلمي البيان والمعاني ليستطيع استيعاب معاني التنزيل العزيز، وليصل إلى الحكم الشرعي بأمانٍ وروية واتزانٍ [٤٤].

٤- قوله تعالى ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ ﴾ البقرة: ٢٣٩

(فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ)

(إنْ) حرفٌ مبنيٌ على السكون وهو من أدوات الشرط، أما (إذا) فهو ظرف لما يستقبل من الزمان، وهو من أدوات الشرط أيضاً [٤٥]، لكن بينهما افتراقاً في المعنى، وفي الاستعمال.

أمّا (إنْ) فالأصل فيها أنْ تدخل على المشكوك فيه أي النادر الحصول، وقد تدخل ويراد بها مايستحيل وقوعه [٤٦]، قال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ ۝٦﴾. (الحجرات / ٦) فلما كانتْ حال الخوف نادرة الوقوع وقليلة الحصول استعمل لها البيان القرآني الأداة (إنْ) وذلك واقعٌ مشاهدٌ في حياة الناس وأيامهم على مرّ العصور، فالغالب على حياة الناس هو الأمن والسلامة أمّا الخوف والخشية فهو عَرَضٌ طارئٌ يزول ، أمّا (إذا) فهي ظرف والأصل في استعمالها أنّها للمتحقق وقوعه أوما يترجح وقوعه، قال الزركشي في البرهان: (أما إذا فظاهر كلام النحاة يشعر بأنها لاتدخل إلا على المتيقن ومافي معناه نحو :إذا طلعت الشمس فأتني) [٤٧] لذلك يجيء استعمال (إذا) في التنزيل العزيز لما يتوقع حصوله في المستقبل بل وللمقطوع بحصوله، قال تعالى : ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾ التكوير: ١، فإنّ ذلك متيقنٌ حصوله في المستقبل وهي من أمارات قيام الساعة فاستعمل لها البيان القرآني (إذا)، ولم يستعمل (إن) لهذه الخصيصة البيانية [٤٨]

وفي استعمال كلٍ من الأداتين بحسب معناها البياني فإنّ ذلك ينبئ بتحقق الأمن وكثرة حصوله للمسلمين وهو نصٌر من الله تعالى وبشارةٌ للمسلمين في تلك المدة التي كانوا يعانون فيها من الخوف أنّ نصر الله تعالى قريبٌ، وأنّ الأمنَ سيعمّ أرجاء بلاد المسلمين جمعاء، وفي ذلك فضلٌ من الله تعالى ومنةٌ، وهو ماأوحى به استعمال (إذا) متوشحة بدلالتها البيانية.

وبخلاف ذلك جاء استعمال (إنْ) في موطن الشك بالخوف والظن بحصوله فكان ذلك موحياً بقلة حصول الخوف في ديار المسلمين وندرته، فكان لكلٍ من الأداتين استعمالٌ منوطٌ بمعنى يصلح لهما وبيانٌ مستكنٌ في بنيتهما فلا يمكن لأحدى الأداتين أنْ تحل محل الأخرى لأنّ ذلك يخل بالمعنى المراد [٤٩]

ونلحظ أنّ مفعول (خِفْتُمْ) قد أضمر وذلك إمّا للعلم به وإمّا لشموله كل خوفٍ، فيشمل الخوف من عدوٍ أو من لصٍ محتالٍ أو من سيلٍ جارفٍ أو من سبعٍ مفترسٍ وهذا مايوحيه إضمار المعمول لأنّ المفعول حال إظهاره يتقيد بالمعنى الذي جاء من أجله كما إذا قلنا: (خِفْتُ عَدّواً) فإنّ المفعول قيد معنى الخوف وهو العدو ولم يتناول مخوفاً آخر.. أمّا إذا أضمر المفعول كما في الآية فإنّ الذهن يذهب كل مذهب في تقديره، وهذه المعاني كلها قد تكون مرادة أنّ ميدان الخوف أكثر اتساعاً من حصره بالعدو فتصح صلاة المكلف حال كونه خائفاً من عدو، أو

سبع، أو فيضان، أو لص محتال، وعليه: تصح صلاة المكلف كصلاة الخوف حال هذه المخوفات جميعاً والله أعلم[٥٠].

وجاء استعمال البيان القرآني لمفردة (رجالاً) التي مفردها (رجل أو راجل) لغرض بيانيٍ مقصودٍ رائع، فالرجل هو المشي على القدمين ومن معانيه في اللغة أنّه بمعنى التقوي والارتفاع والاستقامة ومنه قوله تعالى: (وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا) الحج / ٢٧، لأنّ الحجّ حال المشي يحتاج إلى قوةٍ وجلدٍ وصلابةٍ فجاءت مفردة (رِجَالًا) متسقةً مع هذا الحال الحاصلة للحاجّ حال المشي، فلمّا كانت حالة الخوف التي تنتاب الخائف بما يغشاها من اضطراب وخشيةٍ وتلفت وكثرة شرود ذهنٍ مع حاجةٍ إلى قوةٍ وصبرٍ وأناةٍ كان استعمال مفردة (رِجَالًا) أكثر ملائمة من مفردة (ماشياً) لأنّها توحي بالتقوي والتثبت على أداء صلاة الخوف التي يشيع معها الهلع من شيءٍ والخشية من أمرٍ داهمٍ كبيرٍ ولذلك يطلق الرجل على الذكر من الأناسيّ لأنّه يقوم على قدمه ويمشي على رجله لتأمين معاشه ومعاش عائلته ولكونه كذلك فلابدّ أن يكون قوياً على العمل والحركة والسير [٥١]

(فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ)

جاء موضوع الأمن في قوله تعالى (فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ) مُصَدّراً ب (إذا) التي تفيد تحقق وقوع الأمن في المستقبل مع ملاحظة دخول (إذا) على الفعل الماضي الذي يفيد حصول الحدث في الزمن الماضي وكل ذلك يوحي بتحقق الأمن للأمّة الإسلامية وشيوعه وانتشاره بعدما كان المسلمون يخافون أنْ يتخطفهم الناس، ثمّ جاء ذكر الله تعالى بعد الأمن مقروناً ب (فاء)التعقيب التي تفيد سرعة تنفيذ المأمور من دون مهلةٍ تذكر[٥٢]، أي متى ماأمنتم غائلة العدو وغيره من المخوفات فسارعوا إلى أداء الصلاة كاملة حال الأمن.

إذ تحقق في قوله تعالى (فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ) غرضان بلاغيان هما الحقيقة، وهي أنّ الذكر جاء على حقيقته هو شكر الله تعالى المنعم على عباده بالأمن، ويكون الشكر بالتسبيح، والتحميد، والتهليل، وسائر أنواع الأذكار التي تفيد الشكر والامتنان، أو أنّه أريد به المجاز المرسل [٥٣]الذي علاقته الجزئية، فالذكرهو الجزء أريد به الكل وهي الصلاة بجامع أنّ الذكر جزءٌ من أجزاء الصلاة، فيكون المعنى أنّه حالما يتحقق الأمن فأقيموا الصلاة تامةً كاملةً كما كنتم تصلوها حال الأمن.[٥٤]

(كَمَا عَلَّمَكُم)

في تركيب (فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم) تشبيه مرسل مجمل، إذ شبّه ذكر الله تعالى بالشكر على نعمائه، شبه بالتعليم بجامع الامتنان في كلٍ فالتشبيه مرسلٌ مجملٌ.. سمي مرسلاً لذكر الأداة وهي الكاف وسمي مجملاً لحذف وجه الشبه.

والكاف للتشبيه هي أم باب التشبيه والأصل فيه، وقد جيء بها في هذا الموضع لتقع موقعاً بلاغياً حسناً مخالفاً لما تعورف عليه في التشبيه ب (الكاف)، فالمتعارف في التشبيه بحرف (الكاف)أنْ يكون وجه الشبه في المشبه به أبلغ وأوضح منه في المشبه كقولنا (زيدٌ كالأسد في الشجاعة) فالشجاعة واضحةٌ متجذرةٌ متأصلةٌ في الأسد وهي أوضح منها في المشبه وهو زيد[٥٥]، أما في هذا الموطن فجاء التشبيه لا على فلسفة التشبيه المعروفة بل لتحقق التوازن والتآزر والتساوي بين المشبه به والمشبه في الحكم أو أنْ يكون التشبيه على نية الجزاء، فالذكر يكون بنية شكر المنعم جزاء نعمائه وآلائه بالأمن والأمان، فالتشبيه بهذا التوجيه يكون مما تفرد به الكتاب العزيز مما لم تعرفه العرب ولم تسمع به قبل نزول القرآن الكريم [٥٦]

ومما مرّ نلحظ أنّ استعمال البيان القرآني للمفردتين (إنْ) و (إذا) جاء استعمالاً بيانياً دقيقاً، فكان لهذين الاستعمالين إشراقاً على الحكم الشرعي الذي تضمنته الآية:

فالخوف نادرٌ قليلٌ حصوله في حياة الناس وقد استعمل له القرآن الكريم حرف الشرط (إنْ) الذي من دلالته قلة حصول ما يدخل عليه، أمّا (إذا) فهي ظرفٌ يستعمل لما يتحقق وقوعه في المستقبل أو ما يقرب من المتحقق، فلمّا كان الأمن أكثر وقوعاً من الخوف استعمل له البيان القرآني الظرف (إذا) وهذا يشرق على الحكم الشرعي أنّ الصلاة حال الأمن أكثر حصولاً ووقوعاً من الصلاة حال الخوف وذلك واقع مشاهد في حياة الناس من زمن التنزيل العزيز الى زمان النّاس هذا، فلما كان حكم الإتمام أكثر ذيوعاً وحصولاً استعمل له البيان القرآني مفردة (إذا) التي من خصائصها البيانية أنّها لما يكثر حصوله ويستمر، هذا ومن استعمالات (إذا) البيانية أنّها تفيد الاستمرار وهذا الاستعمال البياني أشرق رائعاً على حكم إتمام الصلاة من أنّها هي الأدوم والأكثر والأشهر. [٥٧]

أمّا الصلاة حال الخوف فلكونها نادرة الحصول قليلة الوقوع استعمل لها البيان القرآني الحرف (إن) الذي من أشهر معانيه قلة حصول ما يدخل عليه.

وكان لإضمار مفعول (خِفْتُمْ) الذي من دلالته الشيوع، والذيوع، والعموم أثره في اتساع دائرة المشمولين بصلاة الخوف فلم يتقيد الفعل بمعمولٍ ظاهرٍالذي يؤدي إلى حصر دائرة المسموح به بل جاء المعمول مضمراً فاتسعت دائرة الحكم الشرعي ودخل تحت ظلاله كثير من المشمولين بصلاة الخوف.

ثم يجيء التركيب (فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ) ليفيد اتساعاً في المعنى، وإعطاء الحكم الشرعي زخماً أكثر في الدلالة، فقد يراد بالذكر حقيقته من التحميد، والتسبيح، والتهليل، وسائر أنواع الذكر حمداً لله على الأمن والأمان، وقد يراد به المجاز المرسل الذي علاقته الجزئية وهو الصلاة، وهذا الاستعمال للتركيب أعطى سعةً في المعنى وأورث شمولاً في الدلالة، تلك المعاني كلّها مرادةٌ سواء أريد بالذكر حقيقته، أم المعنى المجازي له.

أما موقع التشبيه في الآية فقد جاء متوائماً ومتسقاً مع المراد من الآية إذ أعطى التشبيه ملمح شكر المنعم على نعمائه وآلائه، وقد يراد به التساوي والتساوق بين المشبه والمشبه به وعدم رقي المشبه به على المشبه فأفاد أنّ الذكر والتعليم متساويان متسقان، فكان لهذا التشبيه أثره الواضح في اتساع دائرة الدلالة وعدم تضييقها.

لقد أعطتْ هذه الإشارات البلاغية والبيانية دفعاً واشراقاً للحكم الشرعي فأبانت أنّ هذا القرآن لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه بل هو تنزيل من حكيم حميد.

الخاتمة:

هذه سياحة بيانية في عالم النظم القرآني الفريد تعلمت منه أشياء أوجزها :

١_ القرآن الكريم كلام الله المعجز ليس ككلام بقية البشر ، أراد الله تعالى له أن يبقى خالداً تالداً على مر الدهور .

٢_ لابد لهذا الكتاب المعجز لكونه خاتمة الكتب السماوية أن يكتب له الخلود وأن ينفث فيه روح الاعجاز حتى يبقى شاهداً ودليلاً على الرسالة المحمدية الخالدة ، لا يعتوره نقص ولاتمتد إليه أيدي العابثين .

٣_ شعر العرب بروح الإعجاز تسري فيه فعجزوا أن يأتوا بآية من مثله عندما تحدوه .

٤_ استعان الفقهاء والمجتهدون بالدرس البلاغي والبياني في استنباط الأحكام الشرعية من الدليل القرآني التفصيلي .

٥_ أكثر الأبواب البلاغية التي كان الفقهاء يستعينون بها ويوظفون الباب البلاغي في جهدهم الاستنباطي هو باب التشبيه وذلك لقربه من باب القياس في علم أصول الفقه .

٦_ للدرس البلاغي صلة وثيقة بعلم التفسير ، فلابد للمفسر من أن يكون ماهراً في علم البيان والمعاني حتى يفهم التركيب القرآني وخصائص فرادته وحسن تأليفه فيصل إلى المعنى ويتوضح المقصود .

٧_ وجدت أن آيات الأحكام قد سبكت سبكاً لغوياً فريداً وأفرغت في قالب من الأحكام شديد لأنها تعالج أفعال المكلفين التي يراد فرضها أو النهي عن فعلها .

الهوامش

(١) دلائل النبوة١/ ٢٣٤.

(٢) ينظر: لسان العرب (كتب) ١/ ٦٩٩

(٣) التحرير والتنوير ٢/ ١٣٥

(٤) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس (كتب) ٤/ ١٠٣

(٥) ينظر: المصباح المنير (كتب) ٥٢٣، وروائع البيان تفسير آيات الأحكام ١/ ١٩٧

(٦) التشبيه المرسل المجمل: هو ما ذكرت فيه أداة التشبيه وحذف منه وجه الشبه، وينظر: البلاغة الواضحة ٢٥

(٧) الموطأ ٣/ ٤٤٥

(٨) ينظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن (كتب) ٤٧٣، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٤/ ٣٣٣، والتفسير المختصر- المسبور ١٢٦

(٩) سنن ابن ماجة ١/ ٥٢٥

(١٠) ينظر: أساس البلاغة (كتب) ٧٩١، ومعالم التنزيل ١/ ٢١٤

(١١) ينظر: النكت والعيون ٣/ ٣٦٧، والوجيز للواحدي ١/ ٦٩٧

(١٢) ينظر: الصحاح (صوم) ٥/ ١٩٧٠، وأحكام القرآن. محمد شفيع ١/ ١٦٣

(١٣) ينظر: علم التجويد / دراسة صوتية ميسرة ٧٧

(١٤) سنن ابن ماجة ١/ ٥٢٥

(١٥) ينظر: التحرير والتنوير ٢/ ١٥٦، وفي ظلال القرآن ١/ ١٨٦

(١٦) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي ١/ ١٩٢، والبحر المحيط ٢/ ٢٩٣

(١٧) الكناية: (هي ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر مايلزمه لينتقل من المذكور إلى المتروك كما تقول: فلان طويل النجاد لينتقل منه إلى ماهو ملزومه وهو طول القامة) مفتاح العلوم ٥١٢

(١٨) الجامع لأحكام القرآن ٢/ ٤١٣، تفسير القرآن العظيم ١/ ٥٤٩، مدارك التنزيل وحقائق التأويل ١/ ١٧٠، لباب التأويل في معاني التنزيل ١/ ٦٣٠

(١٩) ينظر: جامع البيان عن تأويل القرآن ٢/ ٣٧٧، والدر المنثور في التفسير بالمأثور ١/ ٤٩٩

(٢٠) ينظر: المصباح المنير (فيض) ٣٩٥

(٢١) ينظر: ديوان الأدب ٢/ ٢٥١، ومقاييس اللغة (فيض) ٣/ ٣٧٢، والمعجم القرآني ٢/ ٩٦٥

(٢٢) ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة ٧٩، والتبيان في تفسير غريب القرآن لابن الهائم ١٠٥، وحاشية القونوي على البيضاوي ٥/ ١٢١

(٢٣) المسند ٣١/ ٦٤

(٢٤) ينظر: تأويلات أهل السنة ٢/ ٩٤، والكشف والبيان في تفسير القرآن ١/ ٣٠٢، الدر المصون ٢/ ٣٣٠، مجمع البيان في تفسير

القرآن ٢/ ٣٦، وروح البيان في تفسير القرآن ١/ ٣٢٠

(٢٥) ينظر: تأويلات أهل السنة ٢/ ٩٤

(٢٦) العلاقة الجزئية في المجاز المرسل: هي أن يذكر الجزء ويراد به الكل ،ينظر: البلاغة العربية ١/ ٢٧٧

(٢٧) ينظر: كشاف القناع عن متن الإقناع ٢/ ٤٩٦

(٢٨) ينظر: شرح ديوان الحماسة ١/ ٢٢، والعقد الفريد ٢/ ٣٣٦، وبحثت في شرح أشعار الهذليين للسكري فلم أجد هذا البيت

(٢٩) ينظر: التحرير والتنوير ٢/ ٢٤٣

(٣٠) ينظر: كتاب الصناعتين ٢١٥

(٣١) ديوانه ٢/ ٥٩٥

(٣٢) ينظر: جواهر البلاغة ٣٠١

(٣٣) ينظر :العين (حرث) ٣/ ٢٠٥

(٣٤) التشبيه البليغ: هو ماحذف منه الأداة ووجه الشبه بقصد المبالغة، ينظر: البلاغة والتطبيق ٢٩١

(٣٥) ينظر: تفسير الراغب الأصفهاني ١/ ٤٥٩، والجامع لأحكام القرآن ٣/ ٩٣، وعمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ١/ ٣٨٦

(٣٦) الاستفهام الإنكاري: هو تعبير مجازي يخرج فيه الاستفهام عن حقيقته إلى الإنكار، وفقد يراد بالإنكار معنى التوبيخ كقولنا (أعصيت ربك ؟)، أو قد يراد به معنى التكذيب مثل قوله تعالى□ □ □ □ □ نىَّ القيامة / ٣٦، ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة ٣/ ٧٢

(٣٧) ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل ٤/ ٢٤٠، وتفسير الراغب الأصفهاني ١/ ٤٥٩، ومعجم مفردات ألفاظ القرآن (زرع) ٢٣٧، وفتح القدير ١/ ٢٦٠

(٣٨) ينظر: نكت القرآن الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام ١/ ١٦٦ ، وأحكام القرآن للجصاص ٢/ ٣٩، وأضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن ١/ ١١٦

(٣٩) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن ٤/ ٤٠٢، والنكت والعيون ١/ ٢٨٤

(٤٠) ينظر: زاد المسير ١/ ١٩٢

(٤١) ينظر: الكتاب ٤/ ٣٥٦، ومعاني القرآن للفراء ١/ ١٤٤، وإعراب القرآن لابن النحاس ١/ ١١٢

(٤٢) التفسير الكبير ٣/ ٦٢، وأحكام القرآن للطحاوي ١/ ١٠١، وفتح القدير للشوكاني ١/ ١٩٠، ونيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار ٣/ ٢١٠، وروح المعاني ٢/ ٧٠٧، وتفسير الشعراوي ٢/ ٩٨٣

(٤٣) التفسير الكبير ٣/ ٦٤

(٤٤) ينظر: الإتقان في علوم القرآن ٢/ ١١٩٩، وبغية المشتاق في شرح اللمع لأبي إسحاق ٣٦٠ ، وأصول الأحكام وطرق الاستنباط في التشريع الإسلامي ٤٥١

(٤٥) ينظر: شرح قطر الندى وبل الصدى ١٤

(٤٦) ينظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم ١/ ١٥٢

(٤٧) البرهان في علوم القرآن ٨٠٩

(٤٨) ينظر: شرح كافية ابن الحاجب للرضي الاسترابادي ٣/ ٢٧١

(٤٩) ينظر: روح المعاني ١/ ٥٥١، والتحرير والتنوير ١/ ٤٧٠

(٥٠) ينظر: الكشاف ١/ ٢٨٤، والجامع لأحكام القرآن ٢/ ١٧١، والبحر المحيط ٢/ ٢٥٢، اللباب في علوم الكتاب ٤/ ٢٣٦، وتفسير المنار ٢/ ٢٥٧

(٥١) جمهرة اللغة (رجل) ١/ ٥٢٣، ومقاييس اللغة (رجل) ١/ ٥١٤، ولسان العرب (رجل) ٦/ ١١١، التحقيق في كلمات القرآن (رجل) ٤/ ٧٧

(٥٢) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني ٦١

(٥٣) المجاز المرسل: هي الكلمة المستعملة في غير ماوضعت له في أصل اللغة لعلاقة غير المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي، وعلاقاته كثيرة أشهرها: السببية والمسببية والكلية والجزئية واعتبار ماكان ومايكون والفاعلية والمفعولية وغيرها، ينظر: مفتاح العلوم ٤٧٣

(٥٤) ينظر: إرشاد العقل السليم في مزايا الكتاب الكريم ١/ ٢٣٦

(٥٥) أسرار البلاغة ٩١، والجنى الداني ٨٤، وعلوم البلاغة ٢١٣

(٥٦) ينظر: التحرير والتنوير ٢/ ٤٧١

(٥٧) ينظر: شرح الرضي على الكافية ٣/ ٢٧٠

فهرست المصادر والمراجع

١. الإتقان في علوم القرآن. جلال الدين عبد الرحمن السيوطي(٩١١ للهجرة) تح : د. مصطفى البغا. دار ابن كثير. سورية .ط٢. ٢٠٠٦

٢. أحكام القرآن .أحمد بن علي الجصاص (٣٧٠ للهجرة) تح : محمد صادق القمحاوي. دار إحياء التراث العربي. لبنان. ط١. ١٤٠٥ هـ.

٣. أحكام القرآن، أبو بكر محمد بن عبد الله ابن العربي (٥٤٣ للهجرة) تح: محمد عبد القادر عطا، دار الفكر، لبنان، ط١، ١٩٨٤

٤. أحكام القرآن، أحمد بن محمد الطحاوي (٣٢١ للهجرة) تح: حامد عبد الله المحلاوي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ٢٠١٢.

٥. أحكام القرآن، محمد شفيع، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، باكستان، ط٣ ، ١٤١٨ .

٦. ارشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى (٩٨٢ للهجرة) دار احياء التراث العربي، لبنان، ط١ ، د.ت.

٧. أساس البلاغة، جار الله محمود بن عمر الزمخشري (٥٣٨ للهجرة) تقديم، د، محمود فهمي حجازي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، ط١، ٢٠٠٣

٨. أسرار البلاغة. عبد القاهر الجرجاني (٤٧١ للهجرة) تح : محمود محمد شاكر. مطبعة المدني. مصر. ط١ . ١٩٩١ .

٩. أصول الأحكام وطرق الاستنباط في التشريع الإسلامي، د، حمد عبيد الكبيسي، دار الزيبق، سورية، ط٢، ٢٠٠٤.

١٠. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي (١٣٩٣ للهجرة) خرج آياته وأحاديثه: محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط٢ ، ٢٠٠٣ .

١١. إعراب القرآن، أحمد بن محمد ابن النحاس (٣٢٨ للهجرة) وضع حواشيه: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، لبنان، ط٢، ٢٠٠٤.

١٢. الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين عبد الرحمن الخطيب القزويني (٧٣٩ للهجرة) تح: د، محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، لبنان، ط٣، د.ت.

١٣. البحر المحيط في التفسير. أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) تح : صدقي محمد جميل، دار الفكر – لبنان .ط١، ١٤٢٠.

١٤. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن بهادر الزركشي (٧٩٤ للهجرة) ، قدم له وخرج أحاديثه: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، لبنان، ط٢، ٢٠٠٤.

١٥. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (٨١٧ للهجرة) تح: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، لبنان، د، ط ، د، ت.

١٦. بغية المشتاق في شرح اللمع لأبي اسحاق، محمد ياسين الفاداني (١٤١٠ للهجرة)، تح: أحمد درويش، دار ابن كثير، لبنان، ط١ ، ٢٠٠٦.

١٧. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي (١٢٠٥ للهجرة)، دار الكتب العلمية، لبنان، ط٢، ٢٠١٢.

١٨. تأويلات أهل السنة، محمد بن محمد الماتريدي (٣٣٣ للهجرة) تح: د، مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ٢٠٠٥.

١٩. التبيان في تفسير غريب القرآن، شهاب الدين أحمد بن محمد ابن الهائم (٨١٥ للهجرة) تح: د، ضاحي عبد الباقي محمد، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط١، ٢٠٠٣.

٢٠. التحرير والتنوير ((تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد))، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور (١٣٩٣للهجرة)، ط١، الدار التونسية للنشر ، تونس، ١٩٨٦.

٢١. تفسير الراغب الأصفهاني، الحسن بن محمد الراغب الأصفهاني (٥٠٢ للهجرة) تح: د، محمد عبد العزيز بسيوني، منشورات جامعة طنطا، مصر، ط١، ١٩٩٩.

٢٢. تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، دار أخبار اليوم، مصر، ط١ ، د. ت

٢٣. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار). محمد رشيد رضا (١٣٥٤للهجرة)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط ١، ١٩٩٠.

٢٤. تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر ابن كثير الدمشقي (٧٧٤ للهجرة) تح :سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، السعودية، ط٢، ١٩٩٩

٢٥. التفسير المختصر الصحيح. د.حكمت بشير ياسين ، دار المآثر. السعودية. ط١ ، ٢٠٠٥

٢٦. جامع البيان عن تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري (٣١٠ للهجرة)، دار ابن حزم، لبنان، ط ١ ، ٢٠٠٢.

٢٧. الجامع لأحكام القرآن. أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (٦٧١للهجرة) تح :إبراهيم أطفيش وجماعة ، دار الكتب المصرية ، مصر ،ط٢ ، ١٣٨٤

٢٨. جمهرة اللغة، محمد بن الحسن ابن دريد (٣٢١ للهجرة) تح: د، رمزي بعلبكي، دار العلم للملايين، لبنان، ط١ ، ١٩٨٧.

٢٩. الجنى الداني في حروف المعاني. الحسن بن قاسم المرادي (٧٤٩ للهجرة) تح : فخر الدين قباوة ومحمد فاضل. دار الكتب العلمية. لبنان .ط١. ١٩٩٢ .

٣٠. جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي، تح: د، محمد التونجي، دار المعارف، لبنان، ط٤ ، ٢٠٠٨.

٣١. حاشية القونوي على تفسير البيضاوي. عصام الدين إسماعيل بن محمد القونوي (١١٩٥ للهجرة) ضبطه وخرج آياته : عبد الله محمود محمد. دارالكتب العلمية .لبنان. ط١. ٢٠٠٢

٣٢. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف السمين الحلبي (٧٥٦للهجرة) تح: د، أحمد الخراط، دار القلم، سورية، د،ط، د،ت .

٣٣. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (٩١١ للهجرة) تقديم: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ط١، ٢٠٠١،

٣٤. دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبد الخالق عضيمة، دار الحديث، مصر، ط١ ، ٢٠٠٤.

٣٥. ديوان الأدب، اسحاق بن إبراهيم الفارابي (٣٥٠ للهجرة) تح: محمد السيد عثمان، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ٢٠١١

٣٦. روائع البيان تفسير آيات الأحكام من القرآن، محمد علي الصابوني، مؤسسة مناهل العرفان، لبنان، ط ١، د، ت

٣٧. روح البيان في تفسير القرآن، إسماعيل حقي البروسوي (١١٢٧ للهجرة) تح: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ٢٠٠٣.

٣٨. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني .شهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي (١٢٧٠للهجرة) تح :علي عبد الباري عطية. دار الكتب العلمية .لبنان. ط١ ١٤١٥.

٣٩. زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (٥٩٧ للهجرة) تح: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، لبنان، ط١ ، ٢٠٠٢.

٤٠. سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني (٢٧٣ للهجرة) تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، مصر، د، ط، د، ت

٤١. شرح ديوان الحماسة. أبو على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني (٤٢١ للهجرة) .تح : غريد الشيخ. دار الكتب العلمية، لبنان. ط١، ٢٠٠٣.

٤٢. شرح كافية ابن الحاجب، رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي (٦٨٦ للهجرة) تح: أحمد السيد أحمد، المكتبة التوفيقية، مصر، ط ١، د،ت

٤٣. الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، اسماعيل بن حماد الجوهري، تح: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ١٩٩٩

٤٤. العقد الفريد. أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد ابن عبد ربه الأندلسي. (٣٢٨للهجرة). دار الكتب العلمية ،لبنان. ط١. ١٤٠٤.

٤٥. علم التجويد / دراسة صوتية ميسرة. د. غانم قدوري الحمد. دار عمار. الأردن .ط١. ٢٠٠٥ .

٤٦. عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، أحمد عبد بن يوسف السمين الحلبي (٧٥٦ للهجرة) تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، لبنان، ط ١، د، ت .

٤٧. غريب القرآن لابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢٧٦للهجرة) تح : أحمد صقر. المكتبة العلمية. لبنان .ط١ .٢٠٠٧.

٤٨. فتح القدير الجامع بين فني الدراية والتفسير، محمد بن علي الشوكاني (١٢٥٥ للهجرة) دار الفكر، لبنان، د، ط ، د .

٤٩. في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، لبنان، ط ٣٤ ، ٢٠٠٤

٥٠. قطر الندى وبل الصدى. عبد الله جمال الدين الأنصاري (٧٦١ للهجرة) تح : محيي الدين عبد الحميد. مطبعة السعادة. مصر. ط٩. ١٩٥٧

٥١. كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر، الحسن بن عبد الله العسكري (٤٠٠ للهجرة) تح: علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل ابراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، ط ١، ٢٠١٣.

٥٢. كتاب العين. أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٠للهجرة). د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي دار الهلال. العراق. ط ١، د ت .

٥٣. الكتاب، عمرو بن عثمان سيبويه (١٨٠ للهجرة) تح: د، إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ١٩٩٩.

٥٤. كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي (١٠٤٦ للهجرة)، راجعه وعلق عليه: هلال مصيلحي، دار الفكر، لبنان، ط١، ١٩٨٢.

٥٥. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله محمود بن عمر الزمخشري (٥٣٨ للهجرة)، رتبه وصححه: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، لبنان، ط٤، ٢٠٠٦.

٥٦. الكشف والبيان في تفسير القرآن، أحمد بن إبراهيم الثعلبي (٤٢٧ للهجرة) تح: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، لبنان، ط ١، ٢٠٠٤.

٥٧. لباب التأويل في معاني التنزيل، علي بن محمد الخازن (٧٤١ للهجرة) تح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١ ، ١٤١٥

٥٨. لسان العرب، محمد بن مكرم ابن منظور (٧١١ للهجرة)، دار صادر، لبنان، ط ١، د، ت

٥٩. مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسي (من علماء القرن السادس) تح: ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ١٩٩٧.

٦٠. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، عبد الله بن أحمد النسفي (٧١٠ للهجرة) تح: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، لبنان، ط١، ١٩٩٨

٦١. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل (٢٤١ للهجرة)، تح: شعيب الأرناؤوط، دار الرسالة، لبنان ط ١، ١٩٩٩

٦٢. المصباح المنير في شرح غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد الفيومي (٧٧٠ للهجرة)، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١ ، ١٩٩٤

٦٣. معالم التنزيل، الحسين بن مسعود البغوي (٥١٦ للهجرة) تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ط٢ ، ٢٠٠٢

٦٤. معاني القرآن، يحيى بن زياد الفراء (٢٠٧للهجرة) تح :محمد علي النجار و أحمد يوسف نجاتي، دار السرور، لبنان، ط ١، د، ت .

٦٥. المعجم القرآني، دراسة معجمية لأصول ألفاظ القرآن الكريم، د، حيدر علي نعمة ود، أحمد علي نعمة، منشورات الجامعة العراقية، العراق، ط١، ٢٠١٣

٦٦. معجم مفردات ألفاظ القرآن، الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (٥٠٣ للهجرة) ضبطه وصححه: ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، لبنان، ط٣، د.ت

٦٧. مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (٣٩٥ للهجرة) تح: عبد السلام هارون، دار اتحاد الكتاب العرب، مصر، ط ١، ٢٠٠٢

٦٨. مفاتيح الغيب، محمد بن عمر الرازي (٦٠٦ للهجرة)، دار احياء التراث العربي، لبنان، ط٣، ١٩٩٠.

٦٩. الموطأ، مالك بن أنس (١٧٩ للهجرة) تح: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد الخيرية، الإمارات، ط١، ٢٠٠٤

٧٠. النكت والعيون، علي بن محمد الماوردي (٤٥٠ للهجرة) تح: السيد بن عبد المقصود، دار الكتب العلمية، لبنان، ط ١، د، ت

٧١. نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار صلى الله عليه وسلم، محمد بن علي الشوكاني (١٢٥٥ للهجرة)ضبطه وصححه: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، لبنان، ط٤، ٢٠١١.

٧٢. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، علي بن أحمد الواحدي (٤٦٨ للهجرة) تح: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، لبنان، ط١، ١٩٨٥